The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Jonah 1:3-2:8	سِفْر يونان 1:3 2: 8
#0822	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 822
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهلاً ومرحبًا بكَ، صديقي المستمع، في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامج الإذاعي "الكلمة لهذا اليوم" حيث بنعمة الربّ سيكلّمنا الرَّاعي "تشك سميث" عن يونان ومحاولته الهروب من الله حيث سنجد أنّ سِفر يونان هو أكثر من مجرّد قصّة عن حوت. إنّه بالحقيقة يزوِّدنا بإجابات عن أولئك الذين يقاومون إرادة الله أو يحاولون الهروب منه ويرفضون العمل بمشيئته.

لكي نعرف التفاصيل حول هذا الموضوع دعونا نفتح الكتاب المقدَّس على سِفر يونان، الأصحاح الأول والعدد 3.

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

عندما كان الرسول بولس يكلّم الفلاسفة الأبيكوريين في أريوس باغوس قال لهم كما ورد في سِفر أعمال الرسل، الأصحاح السابع عشر والأعداد 22 إلى 28: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينِيُّونَ أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيراً. لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ وَجَدْتُ أَيْضاً مَذْبَحاً مَكْتُوباً عَلَيْهِ: «لإِلَهٍ مَجْهُولٍ». فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هَذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ. الإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ هَذَا إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي. وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْساً وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ. لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً. لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ." فأنا مُحاطٌ بالله ولا أستطيع الهروب منه. فحيثما أكون، إني محاط بالله.

أيضًا داود، يقول في المزمور 139، الأعداد 7 إلى 10: "أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ. فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ." إني لا أستطيع الهروب من الله وأعتقد أن هذا المفهوم هو مفهوم مهمّ وعلينا أن نفهمه جيدًا. فإني لا أستطيع الهروب من الله.

حقًا، لقد كانت أُكذوبة مُضلِّلَة خُدِع بها يونان حين ظنّ أنه يستطيع الهروب من الله. كانت كِذبة مضلِّلة عندما ظنّ أنّ بإمكانه أن يهرب من إرساليَّة الله له حيث وقع في خطيَّة العصيان. يعيش الكثيرون تحت ذاك التضليل والخداع. يقولون في نفوسهم: "من الأفضل لي إذا كان بمقدوري الهروب من إرادة الله لحياتي. باستطاعتي أنا أن أقرِّر ما هو الأفضل لحياتي."

والآن، مستمعي العزيز، لنقرأ سويةً من سِفر يونان، الأصحاح الأول والأعداد 3 إلى 5:

فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحاً شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْماً ثَقِيلاً.

الناس ينزعجون ويتشَوَّشون بسبب المظاهر المعجزيَّة التي يجدوها في سِفر يونان. وعادة، القسم الأكثر تشويشًا وإزعاجًا لهم هو حقيقة كَوْن الربّ أَعَدَّ أو عيَّن سمكة عظيمة لتبتلع يونان. فالكلمة العبْريَّة للحوت ليست مستخدمة هنا. فالربّ القادر على كل شيء أعدَّ سمكة عظيمة ليُنجِّي يونان. فبلع الحوت يونان وبقي فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

والآن، لننتقل إلى الأعداد 6 إلى 10 من الأصحاح الأول:

فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِماً؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلَهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلَهُ فِينَا فَلاَ نَهْلِكَ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعاً لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوا قُرَعاً فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ. فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ». فَخَافَ الرِّجَالُ خَوْفاً عَظِيماً وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هَذَا؟» فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ.

لقد أخبرهم بأنه كان يحاول الهروب من الله، من إرسالية الله له إلى الأُمم وليقوم بخدمة المناداة على نينوى.

ثم نقرأ في الأعداد 11 13:

فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَاباً. فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هَذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ». وَلَكِنَّ الرِّجَالَ جَذَّفُوا لِيَرْجِعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَاباً عَلَيْهِمْ.

وبرُغم ذلك، كونه كان قد دفع أجرة السفر، لم يَروا أنه من اللائق بهم أن يطرحوا المسافرين الذين دفعوا أجرة السفر في البحر.

ثم نقرأ في الأعداد 13 15 ما يلي:

وَلَكِنَّ الرِّجَالَ جَذَّفُوا لِيَرْجِعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَاباً عَلَيْهِمْ. فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وقالوا: «آهِ يَا رَبُّ لاَ نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هَذَا الرَّجُلِ وَلاَ تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَماً بَرِيئاً لأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ». ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ.

نلاحظ أنّ المعجزات ممزوجة ومحبوكة بكلّ ما في الكلمة من معنى في سِفر يونان.

بعدها، نقرأ في الأعداد 16 17:

فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفاً عَظِيماً وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُوراً. وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتاً عَظِيماً لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.

لقد عيَّن الربّ سمكة عظيمة. ماذا كان نوع السمكة؟ لا يذكر الكتاب المقدّس ذلك. سواء كانت تلك السمكة العظيمة حوتًا أم كانت من سمك القِرش، في أي حال، لا يهمّ، فإنّي أصدِّق ذلك وأُؤمن بذلك لأنّه جاء في كلمة الله. هنا يجد منتقدوا الكتاب المقدَّس مجالاً واسعًا لانتقاداتهم ومناوراتهم حيث تقرأ في شروحهم وتعليقاتهم عن، كما يزعمون، "أسطورة يونان" أو "حكاية يونان الرمزيّة" أو "خرافة يونان"، كما تقرأ عن محاولاتهم إعطاء تفاسير معقولة أو مقبولة ظاهرًا لإقناعك بأنّها لم تكن بالحقيقة سمكة وبذلك ينزعون حقيقة كون الأمر هو خارق للطبيعة في هذه القصة.

لكن الربَّ يسوع آمن بسِفر يونان. وأنا شخصيًّا أؤمن بما يؤمن به يسوع وليس بما يزعم جميع المنتقدين. وكما قال أحد دارسي وشارحي كلمة الله القدّيسين: نحن ليس لنا معهم كلام، فسيردّ الربُّ عليهم في أوانه عندما يقفون أمامه مذنبين بتكذيب الله المنزّه عن الكذب. كما أنّنا نُبدي إعجابنا بالايمان الواثق غير المرتاب لامرأة بسيطة، قالت ردًّا على تهكّمات أحدهم عندما سألها: "هل تصدِّقين أنّ حوتًا يبلع يونان؟" قالت له: نعم أُصدِّق. ولو أن الله قال لي إنّ يونان هو الذي بَلَعَ الحوت، لصدَّقته أيضًا."

نقرأ في إنجيل متّى، الأصحاح السادس عشر والعدد الرابع، ما قاله يسوع للصَّدُّوقيين والفرّيسيين عندما جاء هؤلاء ليجرّبوه وسألوه أن يُريَهم آية من السماء. "جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ." وهكذا نجد أن الربّ يسوع يشير إلى اختبار يونان كاختبار حقيقي واقعي، حرفي وغير مجازي، وهكذا أنا أقبله كاختبار حقيقي، حرفي وغير مجازي. إذًا، نرى هنا أنّ يونان كان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال.

والآن، دعونا ننتقل إلى الأصحاح الثاني من سِفر يونان والعدد الأول:

فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ.

لا بُدَّ من أنّ يونان كان رجلاً عنيدًا إذ أنّه بَقيَ منتظرًا في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال آمِلاً في تغيُّر موآتٍ في وضعه قبل أن يُصَلِّي. كان عاقد العزم أن لا يذهب بالإنجيل إلى الأُمم.

نراه في الآيات الآتية، أي العدد الثاني والثالث، يصف الوضع الذي كان فيه.

وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ فَسَمِعْتَ صَوْتِي. لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ. فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ.

يبدو بوضوح أنّه كان لدى يونان معرفة جيّدة بالمزامير كون القسم الأكبر من صلاته يشير إلى ذلك. لكن من المؤسف جدًا أنه لم يصل إلى المزمور "139"، لأنّه لو وصل حقًا إلى هذا المزمور لكان قد استغنى عن الكثير من المتاعب والمشاكل إذ أنّه كان قد عرف أنه لا يستطيع الهروب من الله، وكان قد عرف أنّ الله يعرف حتّى أدق التفاصيل في حياته وأنّه "ينظر إلى القلب". يقول داود في المزمور 139 والعدد 9 و10: "إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ. فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ." إذًا، كان يونان يعرف المزامير جيِّدًا، لأنه اقتبس منها في صلاته، لكن أليس هذا الأمر يثير الاهتمام كيف أن الكثيرين يفوتهم الانتباه إلى أمور مهمة مرّات كثيرة؟

ثم نقرأ في الأعداد 4 7:

فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ. وَلَكِنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي. حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ.

والآن يونان يشاركنا هذا الدرس القيّم الذي تعلَّمَهُ. لقد تعلَّمه بطريقة موجِعَة، لكنه يُشارِكُنا فيه كيما نتعلَّمه بسهولة وبغير مَشقَّة.

نقرأ في العدد الثامن ما يلي:

اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ.

فإن كنت تتبع كِذبة مضلِّلة، مستمعي الكريم، فإنّك بذلك تجعل الأمور تزداد صعوبةً وتعقيدًا، كما أنّك تحاول الهروب من الله الذي يريد لك الأفضل. إنها أكذوبة تتبعها عندما تظن أنّك تعرف أكثر من الله ما هو الأفضل لحياتك. إنّها أُكذوبة تتبعها عندما تظن أنه بمقدورك أن تحصل على السعادة بعيدًا عن الله. إنّها أكذوبة عندما تظنّ أنّك تستطيع أن تهرب من الله أو من دعوة الله لك، أو من محضر الله. إنّك بتصرُّفِكَ على هذا النحو تجلب لنفسك الألم والمشقة والتعاسة. إنّك تترك نعمتك لأن الله رَحوم ومُحِبّ والذي يريده لك هو الأفضل حتّى ولو كنتَ لا تتوقّع ذلك.

قد يكون أنّ الله يدعوك لأَمرٍ ما وأنت تحاول الهروب قائلاً في نفسك: "آه، إن هذا الأمر هو آخِر ما أريد فعله. لا أريد أن أفعل ذلك أبدًا." إنّك تحاول الهروب لأن عندك الخوف من أن تعمل ما يدعوك الله إليه ظنًّا منك أن هذا يعني حرمانك وتجريدك من أمور كثيرة أو عزلك من منصب معين أو غير ذلك، فتقول في نفسك أو ربما جهارًا: "لا أقدر أو لا أريد أن أفعل ذلك"،

لأنك تحاول الهروب من دعوة الله لك وتنفيذ مشيئته في حياتك. في الحقيقة، انك بالفعل تهرب ممَّا هو الأحسن والأفضل لك إن كنت تهرب من دعوة الله لك ومن تنفيذ إرادته في حياتك.

إنّ أولئك الذين يراعون تلك الأكاذيب الباطلة يجلبون لأنفسهم ألَمًا وتعاسةً، ويضعون أنفسهم في جهنَّم من صُنعِهم بسبب حماقتهم إذ إنّهم يظنّون أنهم يعرفون ما هو لخيرهم أكثر من الله.

عندما أبدأ أُفكِّر بأني أعرف ما هو لخيري وسعادتي الحقيقية أكثر ممّا يعرف الله أكون قد بدأت بتَرْك نعمتي وبدأتُ أجلب لنفسي البؤس والشقاء. فأنا عندما أرجع بفكري إلى الوراء وأنظر إلى تلك المراحل في حياتي حيث كنت أراعي هذه الأكاذيب الباطلة، وحيث كنت قد تركتُ طريق الله، ظانًا أني أجد سعادة وسرورًا أعظم بِتَركي طريق الله، أُدرِك تمامًا مَدى البؤس والشقاء الذي جلبتُه لِنفسي وللآخرين، وأُدرِك مدى جهالتي وغبائي عندما ظَننتُ أني كنت أعرف أكثر من الله ما يسِرُّني ويسعدني حيث وضعت نفسي في جهنم هي من صنعي، وكان عليّ أن أعيش فيها إلى أن اعترفت، كما فعل الملك داود، أمام الله بخطيّتي، وقبلت غفران الله وتطهيره ومَحْوه لخطاياي، ورجعتُ إلى شركتي معه. آه ما أصعب أن تفقد الشركة مع الله. في الحقيقة، إنّها جهنّم. إنّها جهنّم عندما تكون فاقدًا علاقتك مع الله وفاقد شركتك معه، وعندما تعلم أن هذه الحالة لا يمكن تصوّرها.

لقد صلّى يونان من جوف الحوت. يا ليته كان قد صلَّى حين استلم المهمّة من إلهه. أما كان هذا أفضل له من أن يصلّي الآن طالبًا النجاة من الورطة التي أدخل نفسه فيها!

إنّ العصيان مكلف. ولم يكن هذا السجن أمرًا هينًا. لقد ترك يونان نعمته إذ راعى أباطيل كاذبة، ربما تكون أفكاره الشخصيَّة. لكن ما أعظم صلاح الله ونعمته التي تسمو فوق جهلنا.

إنَّ سِفر يونان يعلن سلطان الله المطلق على الطبيعة وكل الخليقة. فهو الذي أبدع الخليقة، وهي تطيع كلّ أوامره، كما أنّ هذا السِفر يعلِّمنا أنّ محبة الله ورحمته تَصِلان إلى جميع خلائقه.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحلقة القادمة من برنامج "الكلمة لهذا اليوم" سنُتابع دراستنا بمشيئة الربّ لسِفر يونان، لذا أرجو، صديقي المستمع، أن تكون برفقتنا وأن تصغي إلينا في المرَّة المقبلة حيث سنرى كيف أنّ الإنسان لا يقدر أن يحصل على الخلاص بمجهوداته الذاتيَّة وبأعمال بِرِّه الذاتي، بل بالنعمة، بالإيمان، وذلك ليس منّا. هو عطيَّة الله.

والآن نترككم، أعزَّائنا المستمعين مع كلمة ختاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

يُفسِّر لنا العدد الثامن من الاصحاح الثاني من سِفر يونان والذي يقول "اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ" السبب في أنّنا كثيرًا ما لا نتمتّع بنعمة الله، لأننا نحوِّل أعيننا نحو "أباطيل كاذبة" يستخدمها الشيطان لِيُضلّ بها العالم. صلاتنا إلى الله من أجلك، أخي المؤمن ومستمعي الحبيب، أن لا تَسْمَح بأن تفلت منك نعمة الله التي لا تُقارَن، بل أن تتمتّع دائمًا بامتيازك الذي عبّر عنه الرسول بولس في رسالة رومية، الأصحاح الخامس والعدد الثاني قائلاً: "النعمة التي نحن فيها مقيمون". والربّ يباركك، وله كلّ المجد إلى الأبد. آمين.